

تفسير البحر المحيط

@ 217 @ قدماه تربته وروى أنه خلع نعليه وألقاهما من وراء الوادي . و { اَلْمُقَدَّس } المطهر و { طُوًى } اسم علم عليه فيكون بدلاً أو عطف بيان . .
وقرأ الحسن والأعمش وأبو حيوة وابن أبي إسحاق وأبو السمال وابن محيص بكسر الطاء منوناً .
وقرأ الكوفيون وابن عامر بضمها منوناً . وقرأ الحرميان وأبو عمرو بضمها غير منون .
وقرأ أبو زيد عن أبي عمرو بكسرها غير منون . وقرأ عيسى بن عمر والضحاك طاوى أذهب فمن
نون فعلى تأويل المكان ، ومن لم ينون وضم الطاء فيحتمل أن يكون معدولاً عن فعل نحو زفر
وقثم ، أو أعجمياً أو على معنى البقعة ، ومن كسر ولم ينون فمنع الصرف باعتبار البقعة .
وقال الحسن : { طُوًى } بكسر الطاء والتنوين مصدر ثنيت فيه البركة والتقدير مرتين فهو
بوزن الثناء وبمعناه وذلك لأن الثناء بالكسر والقصر الشيء الذي تكرر ، فكذلك الطوى على
هذه القراءة . وقال قطرب { طُوًى } من الليل أي ساعة أي قدس لك في ساعة من الليل لأنه
نودي بالليل ، فلحق الوادي تقدیس محدد أي { اِرْزُكْ * اِرْزُكْ * اِرْزُكْ } ليلاً . قرأ طلحة
والأعمش وابن أبي ليلى وحمزة وخلف في اختياره وأما بفتح الهمزة وشد النون اخترناك بنون
العظمة . .

وقرأ السلمي وابن هرمز والأعمش في رواية { وَاَزَا } والألف عطفاً على { اِرْزُكْ }
رَبُّكْ } لأنهم كسروا ذلك أيضاً ، والجمهور { وَاَزَا } اخْتَرْتُكَ } بضمير المتكلم
المفرد غير المعظم نفسه . وقرأ أُبَيٌّ وأني بفتح الهمزة وياء المتكلم { اخْتَرْتُكَ }
بتاء عطفاً على { اِرْزُكْ } ومفعول { اخْتَرْتُكَ } الثاني المتعدي إليه
بمن محذوف تقديره من قومك . والظاهر أن { لِمَا يُوْحَى } من صلة استمع وما بمعنى الذي
. .

وقال الزمخشري وغيره : { لِمَا * يُوْحَى } للذي يوحى أو للوحي ، فعلق اللام باستمع
أو باخترتك انتهى . ولا يجوز التعليق باخترتك لأنه من باب الأعمال فيجب أو يختار إعادة
الضمير مع الثاني ، فكان يكون فاستمع له لما يوحى فدل على أنه إعمال الثاني . .
وقال أبو الفضل الجوهري : لما قيل لموسى صلوات الله على نبينا وعليه استمع لما يوحى وقف
على حجر واستند إلى حجر ووضع يمينه على شماله وألقى ذقنه على صدره ، ووقف ليستمع وكان
كل لباسه صوفاً . وقال وهب : أدب الاستماع سكون الجوارح وغلص البصر والإصغاء بالسمع وحضور
العقل والعزم على العمل ، وذلك هو الاستماع لما يحب الله وحذف الفاعل في { يُوْحَى } للعلم
به ويحسنه كونه فاصلة ، فلو كان مبنياً للفاعل لم يكن فاصلة والموحى قوله { اِرْزُكْ }

أَزَلَا اللَّاهُ { إلى آخره معناه وحّدني كقوله تعالى { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } إلى آخر الجمل جاء ذلك تبيناً وتفسيراً للإبهام في قوله { لِيَمَّا يُوحَى } . وقال المفسرون { فَأَعْبُدُونِي } هنا وحّدني كقوله تعالى { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } معناه ليوحدون ، والأولى أن يكون { فَأَعْبُدُونِي } لفظ يتناول ما كلفه به من العبادة ، ثم عطف عليه ما هو قد يدخل تحت ذلك المطلق فبدأ بالضلالة إذ هي أفضل الأعمال وأنفعها في الآخرة ، والذكر مصدر يحتمل أن يضاف إلى الفاعل أي ليذكرني فإن ذكرني أن اعبدو يصلي لي أو ليذكرني فيها لاشتمال الصلاة على الأذكار أو لأنني ذكرتها في الكتب وأمرت بها ، ويحتمل أن تضاف إلى المفعول أي لأن أذكرك بالمدح والثناء وأجعل لك لسان صدق ، أو لأن تذكرني خاصة لا تشو به بذكر غيري أو خلاص ذكرني وطلب وجهي لا ترائي بها ولا تقصد بها غرضاً آخر ، أو لتكون لي ذاكراً غير ناسٍ فعل المخلصين في جعلهم ذكر ربهم على ابل منهم وتوكيل همهم وأفكارهم به كما قال { لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ } أو لأوقات ذكرني وهي مواقيت الصلاة لقوله { فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا } واللام على هذا القول مثلها في قوله { أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ } وقد حمل على ذكر الصلاة بعد نسيانها من قوله عليه الصلاة والسلام : (من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها) . .

قال الزمخشري : وكان حق العبادة أن يقال لذكرها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (